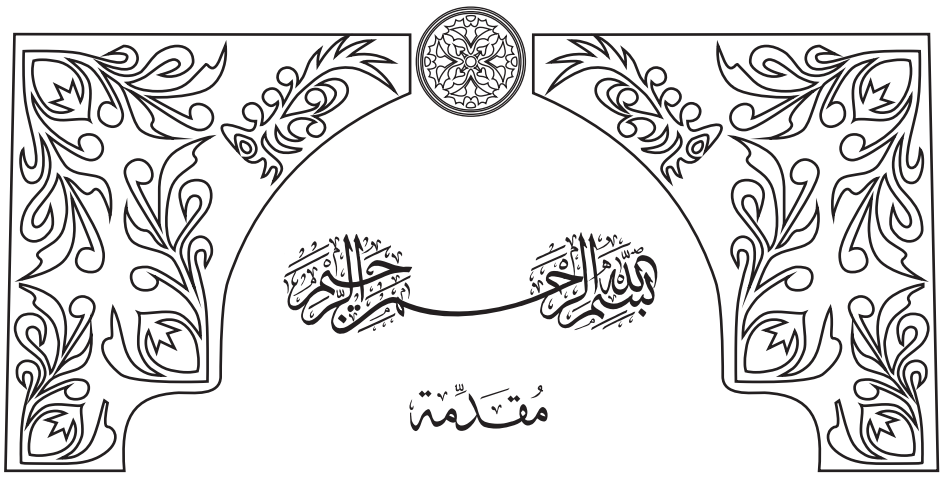

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وسهل أخلاقنا بالحلم، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد:

فإن للعلم مكانةً رفيعةً في الإسلام، ارتفعت هذه المكانةُ منذُ نزولِ أولِ آيةٍ في القرآن الكريم، وتعد الحكمةُ أعلى درجاتِ العلم، مَنْ يُؤْتَهَا فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً، وقد حثَّ القرآن الكريم المسلمين على التفكر والنظر في الآفاق والأنفس، وكذلك حثهم على النظر في تاريخ الأمم والشعوب.

ولهذا اندفع جمهور المسلمين إلى تلقف العلوم والمعارف، غير ملتفتين إلى اختلاف المذاهب والملل، فالعلم لا يعرف مذهباً ولا ملة فهو رَحِمٌ بين الناس جميعاً، فاطَّلَعوا على كثير من العلوم العقلية والفلسفية فأخذوا منها ما وافق الكتابَ والسنة وتركوا ما خالفهما، غير أن جماعةً من المسلمين قد شُغِفَتْ حبَّاً بالفلسفة فتبنوها ودافعوا عنها حتى صارتِ الفلسفةُ لصيقةً بهم إذا ما أُطْلِقَتْ فإنه يتبادر إلى الذهن أقوالُ هذه الجماعةِ التي عُرِفَتْ بفلاسفة الإسلام .

وعندما حاول هؤلاءِ الفلاسفة التقريبَ بين الفلسفة والشريعة اضطروا

إلى تأويل كثيرٍ من النصوص لتتفقَ مع فلسفتهم، وعندئذٍ انبرى لهم جمهور المسلمين ـ ومنهم المفسِّرون ـ فاتخذوا موقفاً رافضاً لهذا النوعِ من التلفيق، وحكم الكثيرُ منهم على الفلسفة بأنها زيغٌ وضلالٌ يَمْتَنِعُ تعلمُها، ورأى بعضُهم أن تعلمَها كتعلم السحر يُقْتَصر على الضرورة والحاجة، وذهب آخرون إلى مطالعة الفلسفة فَقَبِلُوا منها بقدر ما يتفق مع الكتاب والسنة، وردُّوا على ذلك التلفيقِ بالأدلة العقلية المُسَلَّم بها من قبل الجميع.

ولعل هذه **الدراسةَ هي الأولى** في بيان الكشف عن الأثر الفلسفي في التفسير حيث لم أجدْ ـ فيما اطَّلعتُ عليه ـ مَنْ اهتم بالتفسير الفلسفي والكشفِ عن أثر الفلسفة في التفسير سوى إشاراتٍ من بعض الباحثين، أهمها ما ذكره الدكتور الذهبي في كتابه «**التفسير والمفسرون**». ومن هنا تَبْرُزُ **أهميةُ هذه الدراسة**، حيث كشفتْ عن علاقة التفسير بالفلسفة ومدى تأثر المفسِّرين بها سواءٌ كان قبولاً لها أو رفضاً.

وكان **من أبرز الصعوبات** التي واجهتني في هذه الدراسة عمومُ عنوانِ البحث، فالعنوانُ ـ كما هو واضحٌ ـ عامٌّ غيرُ مقيدٍ بفترةٍ زمنيةٍ، ولم يكنْ من الممكن تقييدُهُ؛ لأن الأثرَ الفلسفيَ في كتب التفسير لم يكنْ محصوراً بفترةٍ زمنيةٍ، وإنما امتد أثرُهُ إلى كتب التفسير المعاصرة، ولتذليلِ هذه العقبةِ صنفتُ التفاسيرَ إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: وهي التفاسيرُ المكثِرةُ من إبراز المسائلِ الفلسفية، واخترتُ منها: تفسيرَ الفخرِ الرازي (ت:٦٠٦هـ)، وتفسيرَ النيسابوري (ت:٧٢٨هـ)، وتفسيرَ صدرِ المتألهين الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ)، وتفسيرَ الآلوسي (ت: ١٢٧٠ هـ)، وتفسيرَ الطباطبائي ت:١٤٠٢هـ). فهذه التفاسيرُ الخمسةُ تكادُ تكون قد استوعبتْ جميعَ مسائلِ الفلسفة.

المجموعة الثانية: وهي التفاسير التي لم تُكْثِر من المسائلِ الفلسفية

إكثارَ المجموعة الأولى، واخترت منها: تفسيرَ البيضاوي ت: ٦٩١ هـ)، وتفسيرَ أبي حيان الأندلسي ت: ٧٤٥ هـ)، وتفسيرَ أبي السعود العِمادي (ت: ٩٨٢هـ)، وتفسيرَ الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٩٣٥م)، وتفسير ابن عاشور (ت: ١٩٧٣م).

المجموعة الثالثة: وهي بقيةُ التفاسيرِ التي ذُكِرتْ في البحث، وخاصة التي اشتُهِرتْ بالتفسير المأثور، كتفسير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وتفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، فهذه التفاسيرُ وغيرُها من التفاسيرِ التي جاء ذكرُها في البحث لم تُعْنَ في إبراز المسائلِ الفلسفية.

هذا فيما يتعلق بمصادرِ التفسير وأما ما يتعلق بمصادرِ الفلسفة فالأمرُ كان أيسرَ، فقد اقتصرتُ على الفلسفة المشائية، حيث كانت هي المعنى **المرادَ** من كلمة الفلسفة عند المفسِّرين، ومن ثَمَّ فليستْ كلمةُ الفلسفة في عنوان هذه الدراسة على إطلاقها وإنما هي مقيدةٌ بالفلسفة المشائية. وكذلك كانت مصادرُها كثيرةً أيضاً؛ ولهذا صنفتُها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وهي بعضُ الكتبِ المترجمة لأفلاطون (ت: ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (ت: ٣٢٢ ق.م) من فلاسفة اليونان، ورسائلُ ومؤلفاتُ فلاسفةِ الإسلام، كالكندي (ت: ٢٥٢هـ)، والفارابي (ت: ٣٣٩هـ)، وابن سينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وابن رشد (ت: ٥٩٥هـ). فمصادرُ هؤلاء الفلاسفةِ كانت هي المصادر الأولى في البحث.

المجموعة الثانية: وهي مؤلفاتُ بقيةِ الفلاسفة المشائين، فقد رجعتُ في كثيرٍ من المسائلِ إلى رسائلِ إخوان الصفا وخلانِ الوفاء (في القرن الرابع الهجري)، وإلى أبي الحسن العامري (ت: ٣٨١هـ)، وابن باجه (ت: ٥٣٣هـ)، وأبي البركات البَغدادي (ت: ٥٤٧هـ)، وابن طفيل (ت: ٥٨١هـ)، وشهابِ الدين السُّهروردي (ت: ٥٨٧هـ).

وقد اقتضى عنوانُ البحث أن يكونَ المنهجُ العامُّ لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي، حيث تتبعتُ الأثرَ الفلسفيَ في كثيرٍ من كتب التفسير فجمعتُ المسائلَ الفلسفيةَ المتفرقة، ورتبتُها الترتيبَ الذي جاء في خِطة البحث كما سنرى، وقدمتُ في كل مسألةٍ عرضاً مُخْتَصَرَاً عن رأي بعض الفلاسفة فيها، ومن ثَمَّ أعرضُ رأيَ المفسِّرين الذين تحدثوا في تلك المسألة حديثاً فلسفياً، سواءٌ كان ردَّاً لرأي الفلاسفة أو قبولاً. وكنتُ أَحْرِصُ ـ غالباً ـ على ذكر الآيات الكريمة التي تحدَّث عند تفسيرها المفسِّرون حديثاً فلسفياً؛ وذلك لتتضحَ المناسَبَةُ بين كلامه الفلسفي وتفسيرِ الآيات الكريمة. وهذه الطريقةُ في تناول المسائلِ اقتضتْ **المنهجَ المقارَن**، وذلك من حيث ذكرُ الرأيِّ الفلسفيِّ من مصدره ومقارنتِه برأي المفسِّر، وبيانِ مدى التوافقِ بينَهُما أو المخالفة. ولم تخلو الدراسةُ من النقد والتقييم لتلك الآراء، وخاصة إذا كان الرأيُّ المذكورُ مخالفاً للقرآن الكريم، أو لجمهور المفسِّرين، وهذا هو **المنهجُ النقديُّ** الذي جاء متمماً للمنهجين السابقين، وأرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن أكون قد قاربتُ السدادَ والصوابَ في ذلك.

وقد جاءتْ **خِطةُ البحث في مدخلٍ، وثلاثةِ أبواب، وخاتمة**، فأما المدخل فجاء بعنوان **التعريفِ بمصطلحات البحث**، فعرَّفتُ بمصطلح الفلسفة، وبمصطلح التفسير.

وأما **الباب الأول** فجاء تحت عنوان **الإلهيات**، ويشتمل على فصلين: **الفصلِ الأول**: بعنوان **وجودِ الله تعالى وأدلتهِ**، **والفصلِ الثاني**: بعنوان **الأسماءِ والصفات الإلهية**.

وأما **الباب الثاني** فجاء تحت عنوانِ **العـالَم**، ويشتمل على ثلاثة فصول: **الفصلِ الأول**: بعنوان **خَلْقِ العالَم وفناؤه**، **والفصلِ الثاني** : **بعنوان**

العالَم الِعلوي، فتحدثت عن عالَمِ الأفلاك والكواكب، وعن العرش والكرسي والملائكة. **والفصلِ الثالث**: بعنوان **السببيةِ الكونية ودخولِ الشر في القضاء الإلهي**.

وأما **الباب الثالث** فجاء تحت عنوان **الإنسان**، ويشتمل على أربعة فصول: **الفصلِ الأول**: **بعنوان النفسِ الإنسانية** ، فتحدثتُ عن حقيقة النفس وقُوَاها، وعن مبدئِها ومَعادِها. **والفصلِ الثاني**: **بعنوان المعرفةِ والأخلاق. والفصلِ الثالث**: **بعنوان الحريةِ الإنسانية . والفصلِ الرابع**: **بعنوان النبوة**.

ثم جاءتْ **الخاتمة** وتتضمن أهمَ نتائجِ البحث .

وأخيراً فهذا جهد المقِل، والضعف من سمة البشر، وحسبي أني اجتهدت وقدمت ما بوسعي، وليس لي إلا أن أقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٢٨٦].

○ ○ ○